

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[412] وعلى هامش هذه النقطة ينبغي أن لا يفوتنا أن تعبير "أقوم" في الآية الآنفه يشير إلى أن الله الإسلام هو آخر أديان السماء، وأن الله النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) هو آخر الأنبياء. وكيفية ذلك، هو أن الله أقوم بوصفها أفعال تفضيل، تمثل أعلى درجات التفضيل، ولأن الله الآية لا تذكر الطرف الآخر في المقايضة والذي يكون القرآن أقوم بالنسبة إليه؛ وطالما أن الله حذف المتعلق يدل على العموم كما يقول الأصوليون، فينتج أن الله الإسلام آخر الأديان، وأن الله محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) خاتم الرسل، لأن الله ليس بعد صيغة تفضيل "أقوم" من درجة في التفضيل. بعد ذلك تشير الآيات إلى موقف الناس في مقابل الكتاب الأقوم، هذا الموقف الذي ينقسم فيه الناس إلى فئتين، فالأولى يكون حالها كما يقول تعالى: (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً). أمّا الفئة الثانية فيكون مصيرها تبعاً لموقفها كما يقول تعالى: (والذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذاباً أليماً). وإذا كان استخدم "بشارة" واضح هُنا بالنسبة للمؤمنين، فهو بالنسبة لغيرهم من غير المؤمنين يقع على معنى السخرية والإستهزاء، أو أن الله بشارة للمؤمنين أيضاً تخبرهم عن حال غير المؤمنين (1). ضمناً الآية تشير باختصار بليغ إلى جزاء المؤمنين وثوابهم فتقول: (أن لهم أجراً كبيراً) أمّا غير المؤمنين فإن لهم بنفس صورة الإيجاز القرآني البليغ (عذاباً أليماً) وهذا الاختصار البليغ يطوي في كلا مجالَيْه صوراً تفصيلية من الثواب والعقاب. أمّا لماذا اقتضت الآية في غير المؤمنين على صفة عدم إيمانهم بالآخرة _____ 1 - في نهاية الآية (138) من سورة النساء قلنا: إن الله "بشارة" مشتقة أصلاً من "البشرة" بمعنى الوجه. والملاحظ أن الله صحيفة الوجه وبشرته كالمرآة تعكس كل خبر إذا كان ساراً أو سيئاً بشكل إحياءات معينة.